

6

صحيح البخاري (١٤)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَكَمَا تَمُوتُنَّ إِيَّاهُ وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ
فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد - صلى الله
عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة
ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نواصل إن شاء الله: شرح مختصر كتاب العلم من (صحيح البخاري).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥]

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ، قَالَ: «(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)». قَالَ الْأَعْمَشُ: هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا. أخرجه البخاري (١٢٥).

- **خرب المدينة:** أماكن خربة منها والخرب ضد العامر،
- **يتوكأ:** يعتمد. - **عسيب:** عصا من جريد النخل، - **تكرهونه:** خشية أن يوحى إليه بشيء تكرهونه فيجيبكم به، - **ما الروح:** ما حقيقتها،
- **فقمت:** حائلاً بينه وبينهم. - **انجلى:** ذهب عنه ما يصيبه من حال الوحي، - **من أمر ربي:** مما استأثر الله تعالى بعلمه.

أراد الإمام من تبويبه لهذا الباب أن يبين أن الإنسان مهما أوتي من علم فإن علمه هذا قليل وقد سبق بيان شيء من ذلك عند الكلام عن حديث

موسى مع الخضر عليهما السلام (فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَفَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ) وكما أن نقر العصفور من ماء البحر لا ينقص منه شيء فكذلك علم الله سبحانه كامل لا ينقص منه شيء.

فمهما أوتي الإنسان من علم فينبغي عليه أن يجتهد ولا يركن إلى علمه ولا يغتر بعلمه لأن علمه قليل جدًا إذا ما قورن بعلم العلماء فضلًا عن أن يُقارن بعلم الله.

قال العيني: أرَادَ بِإِيرَادِ هَذَا الْبَابِ الْمُرْجَمِ بِهَذِهِ الْآيَةِ التَّيْبِيهِ عَلَى أَنْ مِنَ الْعِلْمِ أَشْيَاءَ لَمْ يَطَّلِعِ اللَّهُ عَلَيْهَا نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ. ولقد أطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على الكثير من العلم وشمل ذلك (الغيب_المُشاهد) ولكن لم يُظهر الله لنبيه ﷺ كل شيء وذلك يرجع لحكمة وهي أن يظل الإنسان دائمًا له حدود وقدر لا يتجاوزه، ومن ضمن الأشياء التي استأثر بعلمها الله عز وجل (أمر الروح).

فما هي ماهية الروح؟ وعند النوم أين تذهب هذه الروح؟ وهل تخرج من الجسد عند النوم أم أنها تظل فيه؟
كُنْهُ الرُّوحِ أَوْ مَا هِيَ الرُّوحُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ فَقَدْ اسْتَأْثَرَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحَتَّى النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَعْلَمَهُ وَلِذَلِكَ رَدَّ عَلَى مَنْ سَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ:
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)} [الإسراء]

هذا الأمر من الأمور التي أخفاها الله عن العباد وبالتالي فلا ينبغي للإنسان أن يسعى لبحث في هذه الغيبيات لأنه فعله هذا يُعد ضلالاً، وإذا كانت الروح التي بين جنبات الإنسان لا يعرف كُنْهها ولا ماهيتها فكيف لعقله أن يتصور كيفية الصفات أو شيء من الغيبيات، العقل لا يستطيع الوصول إلى شيء من هذا لأنها أمور استأثر الله بعلمها، فإذا كان علم الإنسان بهذا القصور والضعف فهل من الممكن أن يعرف صفات الله فيخوض فيها ثم لا يقع في التأويل أو التعطيل أو فيما شابه ذلك.

* قوله تعالى: { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }.

قال بعض أهل العلم: هذه الآية تحمل معنى التوبيخ من الله للعباد (وكانهم علموا كل شيء في الدنيا وكتبوه ولم يبق سوى السؤال عن الروح وهو الشيء الذي استأثر الله به في علم الغيب عنده) وفي هذا دلالة على سفاهة وتفاهة عقول بعض البشر، وكلما كان الإنسان بعيد عن الله وكتابه وسنة النبي ﷺ كلما كان لديه شيء من السفاهة في العقل والاضمحلال في الفكر وفي تقدير الأمر وتُنزَع منه الحكمة، وكلما ازداد الإنسان قُرب من الله وكتابه وسنة نبيه وتعلّم كلما اتسع عقله واستنار بنور الشريعة والعلم.



بَابُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْاِخْتِيَارِ، مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهَمْ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ، فَيَقْعُوا فِي أَشَدِّ مِنْهُ.

ترك بعض الأختيار: ترك فعل الشيء المختار أو ترك الإعلام به.
يُبين الإمام في الباب: أن الإنسان يمكن أن يكون أمامه بعض الاختيارات
منها ما هو جيد جدًا ولكن من الممكن إذا اختاره الشخص أن تقع له
مشكلة وبالتالي فالأولى تركه، ولما صنف الإمام هذا الباب وضع الحديث
المناسب لهذا التبويب.

عَنْ الْأَسْوَدِ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ، كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا
حَدَّثْتَنِي فِي الْكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا
عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثٌ عَاهَدْتُهُمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - بِكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ
الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ". فَفَعَلَهُ ابْنُ
الزُّبَيْرِ. أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (١٢٦)

- كانت عائشة تسر إليك: وهي خالته والإسرار خلاف الإعلان،
- في الكعبة: أي في شأنها، - حديث عهدهم: قريب زمن تركهم الكفر،
- لنقضت: لهدمتها وبنيتها ثانية.

فمن هو الأسود؟

هو الأسود بن يزيد ابن قيس، الإمام، القدوة أبو عمرو النخعي الكوفي.
وقيل: يكنى أبا عبد الرحمن، وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد، ووالد عبد
الرحمن بن الأسود، وابن أخي علقمة بن قيس، وخال إبراهيم النخعي.

فهؤلاء أهل بيت من رءوس العلم والعمل، وكان الأسود مخضرمًا، أدرك الجاهلية والإسلام.

ينتمي أبو عمرو الأسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن مالك إلى أسرة من النخع أحد بطون قبيلة مذحج باليمن، وعمه علقمة بن قيس وأخوه عبد الرحمن وابنه عبد الرحمن وابن أخته إبراهيم بن يزيد النخعي جميعهم في عداد التابعين، أدرك الأسود الجاهلية، وأسلم لكنه لم يلق النبي محمد، إلا أنه سمع من مبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل، وتفقّه على يديه.

نقل الأسود بعدئذ إلى الكوفة، وأقام فيها، وعُرف عنه اجتهاده في العبادة، فذكر أنه كان يصوم الدهر، دائم الترحال للحج والعمرة حتى أحصوها ثمانين بين حج وعمرة.

وقال عامر الشعبي عن عبادته: كان صوامًا قوامًا حجًّا. وقد توفي الأسود بن يزيد سنة ٧٥ هـ بالكوفة.

ومن هو ابن الزبير؟

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة.

أمير المؤمنين أبو بكر وأبو خبيب القرشي الأسدي المكي ثم المدني أحد الأعلام وولد الحواري الإمام أبي عبد الله ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه كان عبد الله أول مولود للمهاجرين بالمدينة ولد سنة اثنتين وقيل سنة إحدى وله صحبة ورواية أحاديث عداه في صغار الصحابة وإن كان كبيرًا في العلم والشرف والجهاد والعبادة وقد روى أيضًا عن

أبيه وجده لأمه الصديق وأمه أسماء وخالته عائشة وعن عمر وعثمان وغيرهم حدث عنه أخوه عروة الفقيه وابناه عامر وعباد وابن أخيه محمد بن عروة وعبيدة السلماني وغيرهم.

وهو أحد العبادلة وأحد الشجعان من الصحابة، وكان فارس قريش في زمانه وله مواقف مشهودة قيل إنه شهد اليرموك وهو مرهق وفتح المغرب وغزو القسطنطينية ويوم الجمل مع خالته وبويع بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين وحكم على الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وبعض الشام ولم يستوسق له الأمر ومن ثم لم يعده بعض العلماء في أمراء المؤمنين وعد دولته زمن فرقة فإن مروان غلب على الشام ثم مصر وقام عند مصرعه ابنه عبد الملك بن مروان وحارب ابن الزبير وقتل ابن الزبير رحمه الله فاستقل بالخلافة عبد الملك وآله واستوسق لهم الأمر إلى أن قهرهم بنو العباس بعد ملك ستين عاما قيل إن ابن الزبير أدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية أعوام وأربعة أشهر وكان ملازما للولج على رسول الله لكونه من اله فكان يتردد إلى بيت خالته عائشة.

وهو أحد العبادلة وهم: عبد الله بن عمر_ عبد الله بن عمرو_ عبد الله بن مسعود_ عبد الله بن الزبير.

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، قَالَتْ: **فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ قُبَاءً، فَوَلَدْتُ بِقُبَاءٍ،** ثُمَّ «أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَقَلَّ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرَةِ، ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَكَ عَلَيْهِ» وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ، فَفَرِحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَحَرَتَكُمْ فَلَا يُؤَلِّدُ لَكُمْ" أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (٥٤٦٩).

مسألة فقهية يتناولها الحديث :

هل المولود إذا ولد يُحنك؟

وهل يكفي إذا أردنا تحنك المولود أن يُحنكه أحد والداه؟

أم أنه ينبغي إرساله إلى رجل صالح كي يقوم هو بتحنيك المولود

ليختلط ريقه بريق الصالحين ؟

وهل هذا الأمر سنة أم أنه من خصائص النبي ﷺ؟

عملية التحنك: هي عبارة عن إحضار ثمرة ومضغها وأخذ جزء بسيط منها ووضعها في فم المولود(سقف الحنك) فتكون أول شيء يدخل جوف المولود.

المقصود: بقول أن هناك أشياء هي من خصائص النبي ﷺ : أي أنه هو

وحده الذي يفعلها دون غيره من الناس فلا يجوز لهم ذلك.

ابتداءً: مسألة تحنك الأطفال سنة وإن كان هناك بعض من أهل العلم

قالوا أن تحنك الأطفال من خصائص النبي ﷺ حتى يختلط ريق الرضيع

بريق النبي ﷺ ولكن الراجح أنه سنة، لأنه لا يوجد ما يدل على

الخصوصية في التحنك وإن كان هناك خصوصية أخرى وهي بركة

ريق النبي ﷺ فلا يُشابهه أحد في أي شيء ومن ثم فلا يجوز لأحد

الوالدين أن يأخذ الرضيع عندما يُولد ويذهب به إلى أحد الصالحين ليقوم

بتحنيكه كي تنزل بركة ريقه في جوف الطفل، فهذه بدعة منكرة لأنه ليست هناك بركة إلا للنبي ﷺ فلا نتبرك بأثار أحد ولا بذات شخص غير النبي ﷺ.

فمسألة البركة هي من خصائص النبي ﷺ فقد كانوا يتبركون بجسده وريقه وشعره وآثاره وكل شيء منه فهو المبارك في أقواله وأفعاله وذاته وبالتالي فهي لا تصح لغيره من البشر.

إذن: نحن لدينا حكرمان في المسألة :

- ١- الطفل عندما يُولد فإنه يُحنك لماذا؟ لأنها سنة عن النبي ﷺ
 - ٢- مَنْ يُحنكه؟ أحد الوالدين، لأنهم إذا ذهبوا به إلى أحد الصالحين ليقوم بذلك فإن هذا يعني أنهم يعتقدون أن ريق هذا الرجل الصالح فيه بركة وهذا يُعد من قبيل البدع والضلال، فمهما كانت درجة صلاح هذا الإنسان فإنه لا يوجد دليل على وجود البركة، بالإضافة إلى أنه بعد وفاة النبي ﷺ وُلِدَ مئات الأولاد فما ورد عن الصحابة أنهم كانوا يأخذون أبناءهم ويذهبون بهم إلى أبي بكر أو عمر أو عثمان ليقوم أحدهم بتحنيك الأطفال وقد كانوا جميعاً على خير فهم علماء وأكابر وأفضل البشر بعد الأنبياء.
- إذن التحنيك سنة وقد أثبت ذلك ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود.

حديث الباب: لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثٌ عَنْهُمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - بِكُفْرِ، لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ.

الحديث يُبين قاعدة من قواعد الإسلام الهامة جداً (مسألة المفساد والمصالح) والتي يفقد الكثير منّا الحكم فيها بميزان معتدل، فالكثير من طلبة العلم والبعض من الدعاة لا يعرفون كيفية تحقيق هذه القاعدة

***مثال:** شخص يحب الله سبحانه ويريد أن يدعو إلى دينه ويعلم أن هذا حلال وهذا حرام ولديه علم يقيني على ذلك، فهل هذا العلم يمكن أن يحمله على القول بذلك في أي وقت أم أنه لابد له من عمل موازنة بين المصالح والمفاسد التي يمكن أن تترتب على القول بهذه الأمور؟
الجواب: لابد من عمل موازنة بين المصالح والمفاسد ولدينا أدلة على ذلك من الكتاب ومن السنة ومنها حديث الباب الذي نتناوله الآن.

فالنبي ﷺ كان يريد هدم الكعبة وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام ولكنه امتنع عن فعل ذلك وعندما سئل عن سبب امتناعه عن فعل هذا قال: إن القوم حديثي عهد بكفر أي أنهم لولا أنهم حديثي عهد بكفر لنقضها ولأعاد بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام فهذا هو البناء الأصلي للكعبة، ولو أن النبي ﷺ فعل هذا وهم مازالوا في مرحلة من عدم الثبات للإيمان ولا اليقين في القلوب لذهبت مهابة الكعبة من قلوب الناس، ولهذا ترك النبي ﷺ الأمر على ما هو عليه كي لا تحدث مفسدة أعظم من المصلحة التي كان يرجوها من وراء ذلك.

وتلك هي الإشكالية التي لا يستطيع طلبة العلم إدراكها، فإذا كانت هناك مصلحة ويقترن بها مفسدة فعلينا أن نفكر قبل القيام بأي خطوة لجلب هذه المصلحة، فحتى لو كان هذا الأمر حلال ويُحبه الله ويرضاه إلا أنه ينبغي قبل القيام به أن يُدرس دراسة جيدة، فيرى هل هناك مفسد مترتبة عليه أم لا وإن كان حلال يحبه الله ويرضاه، فإذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة فعليه أن يترك العمل فوراً.

الأمر الثاني الذي جعل النبي ﷺ يمتنع عن فعل ذلك هو:

قال أبو الزناد: إنما خشي أن تنكره قلوب الناس لقرب عهدهم بالكفر،
ويظنون أنما يفعل ذلك لينفرد بالفخر دونهم.

أن بعض هؤلاء القوم مازال لديهم شيء من سوء الظن فقد كانوا
بالأمس القريب كفار ومن ثم فإن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم بعد وبالتالي
فإن الإنسان كلما كان ضعيفاً في إيمانه كلما كان قلبه ملئاً بأمراض
القلوب (سوء الظن_الحقد_الحسد) وكلما رسخ الإيمان وعلا في قلبه كلما
تطهر قلبه من الأمراض، ولذلك خشي النبي ﷺ أن يظن هؤلاء أنه أراد
أن يهدم الكعبة ليكون له وحده الفخر إذا قام بنقضها وبنائها على قواعد
إبراهيم عليه السلام وهذا الظن بالفعل يمكن أن يقع فيه بعض السفهاء
فيظنون بالنبي ﷺ هذا الظن وهو يعلم إمكانية حدوث ذلك.

بدليل أنه كان في اعتكافه ذات يوم،

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حَبِيبٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزْوُرُهُ، وَهُوَ
مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْغَوَابِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً
مِنَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْلِبُهَا،
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ، الَّذِي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَفَّذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبٍ» قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِّ،
وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا» أخرجه البخاري (٦٢١٩).

فلا يعتقد أحد أنه بعيد عن الشبهات ولهذا فينبغي أن لا يضع الإنسان نفسه في موضع يجعل غيره يظن به ظن سيء، فالإنسان سيء الظن لا يستطيع أن يميز بين من يُساء به الظن وبين من لا يُساء به الظن، ومن هم أهل الفضل ومن هم أهل الضلال لأن القلب خرب وهذا القلب يقيس بميزان نفسه، فالكاذب لا يستطيع أن يُصدق أن الناس صادقين، والبخيل مهما رأى من كرم الآخرين فإنه لا يرى هذا كرمًا محض ولكنه يرى أن الكريم هذا يود الحصول على شيء وبالتالي فهو يُقدّم هذه المقدمات، فدائمًا ما يكون الإنسان مريض القلب واقفًا عند مرض قلبه فلا يظن أن هناك شخص أعلى منه من باب أن لديه أيضًا شيء من الحسد والحقد على الآخرين.

فلما ارتفعت هذه الشبهة (مظنة الفخر) ومضت مدة طويلة على دخول الإسلام في القلوب واستقر فيها الإيمان قام عبد الله بن الزبير بفعل هذا.



بَابُ الْحِيَاءِ فِي الْعِلْمِ

قال الحافظ بن حجر: أَي حُكْمِ الْحِيَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْحِيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ وَهُوَ الشَّرْعِيُّ الَّذِي يَقَعُ عَلَى وَجْهِ الْجَلَالِ وَالْحَيْرَامِ لِلْأَكَابِرِ وَهُوَ مَحْمُودٌ وَأَمَّا مَا يَقَعُ سَبَبًا لِتَرْكِ أَمْرِ شَرْعِيٍّ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَلَيْسَ هُوَ بِحِيَاءٍ شَرْعِيٍّ وَإِنَّمَا هُوَ ضَعْفٌ وَمَهَانَةٌ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِ مُجَاهِدٍ لَأَ يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ.

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبِ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،
 قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا
 احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فَغَطَّتْ أُمُّ
 سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ،
 تَرَبَّتْ يَمِينُكَ، فَبِمَ يُشَبِّهُهَا وَلَدُهَا» أخرجه البخاري (١٣٠).

- لا يستحي من الحق: لا يمتنع من بيان الحق، - احتلمت: رأت في منامها أنها تجامع، - رأت الماء: رأت على ثوبها ماء إذا استيقظت، وتحتلم المرأة؟ أي يخرج منها ماء كماء الرجل؟.
- تربت يمينك: افتقرت ولصقت بالتراب ويقال هذا مداعبة لا على إرادة المعنى الظاهر، - فبم يشبهها ولدها: أي إذا لم يكن لها ماء فمن أين يأتي شبه الولد بها.

عَنْ أَبِي السَّوَّارِ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: " مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: إِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَارًا، وَإِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةً " فَقَالَ لَهُ عُمَرَانُ: «أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صَاحِبَيْكَ» أخرجه البخاري (٦١١٧)، أخرجه مسلم (٣٧).

قيل: وَالْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ. وَمِنْهُ الْحَيَاءُ لِلْمَطَرِ، لَكِنَّهُ مَقْصُورٌ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةٌ خُلِقَ الْحَيَاءُ. وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ. فَكَلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَى كَانَ الْحَيَاءُ أَمَّ. وهذا يعني: أنه كلما قلَّ الحياء كلما دلَّ ذلك على عدم سلامة القلب، وقلة

الحياء دليل على موت القلب، والعكس فكلما كان القلب أحيى كلما كان الحياء أعلا.

سؤال يطرح نفسه: ما هو الميزان الذي يمكن به معرفة هل القلب مريض أم أنه سليم؟ وخاصة بالنسبة لطالب العلم الذي يريد أن يعرف هل هذا العلم الذي يُحصله بالفعل أدى إلى تهذيبه وتثقيته وإصلاح قلبه أم أنه مازال منشغل بالدنيا فيتنافس فيها ويُصارع من أجل الحصول على نصيب منها؟

١ - فحياة القلب ميزانها حياء القلب.

أولاً: الحياء من علامات سلامة القلوب، فكلما ازداد الحياء في القلوب كلما علا الإيمان فيها، وكلما أحيى الإنسان قلبه بالأفعال والأقوال والأعمال كلما ازداد الحياء في قلبه، وكلما قلَّ الحياء كلما قلت حياة القلب.

فمن أي شيء يكون الحياء؟

ابتداءً: يكون الحياء من الله عز وجل، الاستحياء من الله سبحانه أن يرى عبده وهو قائم على معصية، ويستحيي أن يستخفي من الناس ولا يستخفي منه سبحانه، يستحيي من إصراره على ارتكاب الحرام مع علمه بالحرام والحلال، فالقلب المستحيي يصعب عليه جداً أن يعصي وحتى لو زلت قدمه في باب من أبواب المعاصي فإنه سرعان ما ينزع ويعود ويتوب.

فالقلب فيه حياء من الله من قوة الجناية فهي في حق الله سبحانه، فيكون لديه حياء وخوف ووجل من الله أن يراه وهو في وضع المعصية ويعلم الله أن عبده على علم بمدى الحرمة فهو ليس بجاهل ولكنه تجرأ على الله.

الحياء يمنع من الوقوع في المعاصي خوفاً من الله ولو اكتمل الخوف والخشية لتردد ألف مرة قبل أن يُقدم على الوقوع في المعصية لأنه حال ارتكابها قد تكون آخر لحظة في حياته فيلقى الله على معصية.

فالحياء يكون على أمرين:

إما أن يكون عالي وبالتالي يكون الإيمان عالي أيضاً فلا يقع في المعاصي ابتداءً.

وإما أن الإيمان ينقص ويزيد وتلك عقيدة أهل السنة والجماعة وفي لحظة ضعف تزل القدم في باب ولكن سرعان ما يتوب ويعود ويُنفذ نفسه مما وقعت فيه (وهذا هو حياء التقصير) فهو بالرغم من نعم الله سبحانه التي أنعم عليه بها إلا أنه مُقَصِّرٌ، فكم من نعم وكم من عطاء ورغم ذلك فهناك تقصير في حق الله وفي حق الدين، فكيف مع كل هذا العلم نجد مَنْ يتهاون في الأمور المستحبات ويقول أنها سنة، بالفعل لا يأثم العبد إذا ترك القيام بهذه الأمور ولكن أين شكر النعم التي أنزلها الله عليه تترا وبالرغم من ذلك يتعامل على أساس ما هو الفرض فأفعله وما هي السنة فأتهاون فيها.

حياء المحبة: وهو نوع آخر من أنواع الحياء، فالعبد المحب لربه إذا ما اشتد حبه له فإنه يستحي أن يراه محبوبه وهو في وضع لا يُحبه وذلك لعلمه أن محبوبه لا يُرضيه هذا الأمر.

قال تعالى: **{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) }** [البقرة]

ولو اكتمل الحب في قلب العبد لربه لاستحيي من الله حق الحياء فانكف عن المعصية والخطأ وكبح جماح نفسه.

وَأَمَّا حَيَاءُ الْعُبُودِيَّةِ: فَهُوَ حَيَاءٌ مُمْتَزَجٌ مِنْ مَحَبَّةٍ وَخَوْفٍ، وَمُشَاهِدَةٌ عَدَمِ صَلَاحِ عُبُودِيَّتِهِ لِمَعْبُودِهِ، وَأَنَّ قَدْرَهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ مِنْهَا. فَعُبُودِيَّتُهُ لَهُ تُوجِبُ اسْتِحْيَاءَهُ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ.

وهي أن يستحي العبد من نفسه فبرغم كل ما تفضل الله عليه به من نعم إلا أن عبوديته قليلة، أين العبادة وأين الإقبال؟ وأين البذل لله؟
_الشاهد: أن الحياء لا يأتي إلا بخير وعلى الإنسان أن يحمل نفسه ويُجاهدها ويحثها على الحياء، فتستحي من الله بكل نوع من أنواع الحياء، فكلها جميلة ولا تأتي إلا بالجميل كما قال رسول الله ﷺ.

٢- ميزان آخر يوزن به الحياء في القلوب:

عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «يَا أَحْنَفُ، مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، مَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ [ص: ٣٧١] كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ» المعجم الأوسط (٢٢٥٩).

فكلما قلَّ الحياء كلما قلَّ الورع ومع تتابع قلة الورع يموت القلب، لأن الخطأ الذي يتبعه خطأ يؤدي إلى زيادة الذنوب وبالتالي يؤدي ذلك إلى موت القلب.

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: " سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ امْرَأَةً تَقُولُ: دَعَتْنِي النَّفْسُ بَعْدَ خُرُوجِ عَمْرٍو إِلَى اللَّذَاتِ تَطَّلِعُ التَّاعَا فَقُلْتُ لَهَا عَجَلْتِ فَلَئِنْ تَطَاعِي

وَلَوْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ رَبَاعًا أَحَازِرُ إِنْ أُطِعَكَ سَبَّ نَفْسِي وَمَخْزَاةٌ تُجَلِّلُنِي
قِنَاعًا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنْ ذَلِكَ؟
قَالَتْ: الْحَيَاءُ وَإِكْرَامُ زَوْجِي، فَقَالَ عُمَرُ: إِنْ فِي الْحَيَاءِ لَهَنَاتٌ ذَاتُ الْوَانَ
مَنْ اسْتَحَى اخْتَفَى، وَمَنْ اخْتَفَى اتَّقَى، وَمَنْ اتَّقَى وَقَى.

- **من استحي اختفى:** أي أن من كان لديه حياء فإن عمله يكون خفي فلا يُظهره لأحد، كما أنه يستحيي من الله أن يراه وهو قائم على معصية
 - **ومن اختفى اتقى:** والتقوى تأتي بالخير كله.
 - **ومن اتقى وقى:** أي أنه وقى نفسه من الوقوع في المعاصي والذنوب
- لأن من يُحقق الحياء والتقوى والورع فهو بمنأى عن الذنوب وليس لها إلى العبد من سبيل إلا في حدود الزلات البشرية البسيطة.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحِيٌّ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ».
وَكَأَنَّهُ أَرَادَ تَحْرِيزَ الْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى تَرْكِ الْعَجْزِ وَالتَّكْبَرِ لِمَا يُؤْتِرُ كُلُّ
مِنْهُمَا مِنَ النَّقْصِ فِي التَّعْلِيمِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: «نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ
يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ».

يقصد: أن الإنسان ينبغي أن يترك الحياء في التعلم، فلا يصح أن يمنعه
حيائه من السؤال أو التعلم، وكذا المتكبر أيضًا لن ينال العلم لأنه يستكبر
أن يتعلم ممن هو دونه، استحياء هذا واستكبار هذا عن السؤال يؤدي إلى
وقوع كلا منهما في الضلال والجهل.

حديث الباب:

أولاً: من هي أم سلمة؟

أم سلمة أم المؤمنين: السيدة المحجبة، الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ، المخزومية ، بنت عم خالد بن الوليد ، سيف الله ؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام، من المهاجرات الأول. كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرضاعة : أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح ، دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة . وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبا، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين . عمرت حتى بلغها مقتل الحسين ، الشهيد ، فوجمت لذلك ، وغشي عليها ، وحزنت عليه كثيرا . لم تلبث بعده إلا يسيرا ، وانتقلت إلى الله . ولها أولاد صحابيون : عمر، وسلمة، وزينب. ولها جملة أحاديث .

فضلها:

عَنْ ابْنِ سَفِينَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: **{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}** [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبُ بْنُ

أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩١٨).

- **ما أمره الله:** أي في ضمن مدح الصابرين بقوله في سورة البقرة {الذين إذا أصابتهم مصيبة} الخ فإن كل خصلة ممدوحة في الكتاب الكريم تتضمن الأمر بها كما أن المذمومة فيه تقتضي النهي عنها،

- **اللهم أجرني:** كذا بهمزة واحدة وهو أمر من أجره الله إذا أصابه،

- **وأخلف لي:** هو بقطع الهمزة وكسر اللام قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فإن ذهب مالا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لا جد له ولا والد له قيل له خلف الله عليك بغير ألف كأن الله خليفة منه عليك، - **أي المسلمين خير من أبي سلمة:** استعظام منها لشأن زوجها وتعجب من أن يكن لها خلف خير منه، - **أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:** أي هو أول أهل بيت هاجر مع عياله فهو أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم المدينة وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته، - **وأنا غيور:** هو فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفة تكون للرجل على امرأته ولها عليه يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء، - **يذهب بالغيرة:** يقال أذهب الله الشيء وذهب به كقوله تعالى: [ذهب الله بنورهم].

عندما مات أبو سلمة سألت أم سلمة نفسها ومَن سيكون أفضل من أبي سلمة ؟ وظلت تذكر مناقبه، ولكنه اليقين.

أرادت أن تقول أنه بمقياس العقل لا يوجد مَن هو أفضل من أبي سلمة ولكن النبي ﷺ علمَ اتباعه أنه عند حدوث المصيبة أن يقولوا كما جاء في القرآن: **{ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**

(١٥٦) { [البقرة]، وأن يقولوا كما جاء في السنة (اللهم أجرني في مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا)، ففعلت أم سلمة ذلك ولم تقس الأمر بعقلها وتلك بركة الاتباع، وعندما لم تخضع للعقل وسارت وفق الشرع فازت الفوز العظيم في الدنيا وفي الآخرة (بزواجها من النبي ﷺ).
قول العقل ليس هناك من هو أفضل من أبي سلمة وأمر الرب بأن يُقال الدعاء وإن لم يُوافق قول العقل، ولو أن المسلمين اليوم ساروا على هذه القاعدة التي سارت عليها أم المؤمنين لما اعترضوا على الشرع أبدًا، ولكننا نسمع الكثير ولا نستطيع أن نسقط على أحوالنا. وعندما قالتها بيقين وتجرد وعدم تقديم للعقل على النقل فازت.

فمن هي أم سليم؟

أم سليم هي سهلة أو رميلة أو مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية رضي الله عنها ، وهي أم أنس بن مالك رضي الله عنه ، مشهورة بكنيتها، واختلف في اسمها. الإصابة ٢٢٧/٨

وأم حرام: هي بنت ملحان رضي الله عنها، وهي أخت أم سليم.

قال ابن عبد البر: لا أقف لها على اسم صحيح.

وهما من محارم النبي صلى الله عليه وسلم.

قال النووي رحمه الله:

قال رحمه الله: (اتفق العلماء على أن أم حرام كانت محرما له صلى الله عليه وسلم. واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره : كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون : بل كانت خالة لأبيه أو لجدته لأن عبد المطلب كانت أمه من بنى النجار) اهـ.

وقال أيضا:

(أُمُّ حَرَامٍ أُخْتُ أُمِّ سُلَيْمٍ ، وَقَدْ كَانَتَا خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْرَمَيْنِ إِمَامًا مِنَ الرِّضَاعِ ، وَإِمَامًا مِنَ النَّسَبِ ، فَتَحَلُّ لَهُ الْخُلُوةُ بِهِمَا ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً ، لَا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَزْوَاجَهُ) اهـ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ قَالَ فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا فَأَتَيْتُ فَقِيلَ لَهَا هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي بَيْتِكَ عَلَى فِرَاشِكَ قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَقَعَّ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةٍ أُدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَفَتَحْتُ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تَنْشِفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا فَفَزِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لَصَبِيَانِنَا قَالَ : أَصَبَتْ" أخرجه مسلم(٢٣٣١)

قولها: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ: قال العلماء: معناه لا يمتنع من بيان الحق ، وضرب المثل بالبعوضة وشبهها كما قال سبحانه وتعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا}** فكذا أنا لا أمتنع من سؤالي عما أنا محتاجة إليه.

وقيل: معناه: إن الله لا يأمر بالحياء في الحق ولا يبيحه ، وإنما قالت هذا اعتذارا بين يدي سؤالها عما دعت الحاجة إليه : مما تستحيي النساء - في العادة - من السؤال عنه ، وذكره بحضرة الرجال ، ففيه : أنه ينبغي لمن عرضت له مسألة أن يسأل عنها ، ولا يمتنع من السؤال حياء من ذكرها ، فإن ذلك ليس بحياء حقيقي لأن الحياء خير كله ، والحياء لا يأتي إلا بخير ، والإمساك عن السؤال في هذه الحال ليس بخير ، بل هو شر . فكيف يكون حياء ، وقد قالت عائشة - رضي الله عنها - : نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

أما حياء الله عز وجل فالمقصود به: هو حياء يليق بجلاله وكماله وعظيم سلطانه فهو حياء بر وكرم وعطاء وفضل وكل خير.

- **قولها: إِذَا احْتَلَمْتُ؟** أي إذا رأيت في منامها أنها تجامع، فإذا بها بعد أن تستيقظ تجد ماء، فإذا ما وجدت المرأة هذا السائل فعليها أن تغتسل غسل الجنابة.

سؤال: امرأة وجدت هذا الماء ولكنها لا تتذكر أنها قد احتلمت وهي نائمة فهل عليها غسل؟ عليها أن تغتسل في هذه الحالة أيضا لأن هناك بعض الناس لا يتذكرون ما رأوه وهم نائمون.

قَوْلُهُ: إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ: يَدُلُّ عَلَى تَحَقُّقِ وَقُوعِ ذَلِكَ وَجَعَلَ رُؤْيَا الْمَاءِ شَرْطًا لِلْغُسْلِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَرَ الْمَاءَ لِأَغْسَلِ عَلَيْهَا.

ويستوي في هذا الحكم الرجل والمرأة.

قَوْلُهُ: تَرَبَّتْ يَمِينُكَ: أَيِ افْتَقَرْتُ وَصَارَتْ عَلَى التُّرَابِ وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَافِ
الَّتِي تُطْلَقُ عِنْدَ الزَّجْرِ وَلَا يُرَادُ بِهَا ظَاهِرُهَا.

وهي مثل كلمة النبي ﷺ لمعاذ قَالَ: فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَنَوَازِحُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟
قَالَ: «تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ مُعَاذُ، وَهَلْ يَكْبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ
السِّنْتِهِمْ؟» مسند أحمد (٢٢٠٦٨).

(تكلتك أمك): كلمة تقولها العرب للإنكار على المخاطب ولا يريدون
حقيقة معانها الذي هو الدعاء بالموت أي فقدتك أمك.

كلمة (ربنا يخليك): يخليك أي يتركك، فالتخلية تعني الترك.
ولكن هذه الكلمة دارجة على ألسنة الناس بمعنى الدعاء للشخص بالخير
وليست بمعنى ربنا يتركك، فهي كلمة اعتاد الناس عليها وتركها أولى
ولكن أحياناً يسبق اللسان إليها فلا إشكال في ذلك إذا لم تكن هذه الكلمات
بها ما يخالف الشريعة.

كلمة لا يجوز قولها: (ربنا عاوز كده) فهذه كلمة لا يجوز أن تُقال لأن
العوز من الاحتياج وهو مما لا يجوز نسبته إلى الله سبحانه لما تتضمنه
من النقص في حق الله عز وجل.

قوله: فبم يشبهها ولدها: انقل النبي ﷺ إلى موضوع آخر، وهذا يوضح
أنه يجوز للعالم أن يبين للناس أكثر من مسألة في حدود تعلق جزئيات
المواضيع ببعضها حتى لا يحدث تشتت للمتلقي.

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ ... قَالَ:

جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ ، قَالَ : (مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ ،
فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيَّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِذَا عَلَا مَنِيَّ
الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آتَنَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) قَالَ الْيَهُودِيُّ : لَقَدْ صَدَقْتَ . أَخْرَجَهُ
مسلم (٣١٥) .

عن أمِّ سُلَيْمٍ ... قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نَعَمْ ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ
، إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ ، فَمِنْ أَيِّهِمَا
(عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ) أَخْرَجَهُ مسلم (٣١١) .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ : (امْرَأَةً قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ
تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا احْتَلَمَتْ وَأَبْصَرَتْ الْمَاءَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَهَلْ يَكُونُ
الشَّبَهُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ ، إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ ،
وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ) أَخْرَجَهُ مسلم (٣١٤) .

يقول ابن القيم: الْعِلْمُ هَادٍ وَالْحَالُ الصَّحِيحُ مُهْتَدٍ بِهِ، وَهُوَ تَرْكَةُ الْأَنْبِيَاءِ
وَتَرَاتُهُمْ، وَأَهْلُهُ عَصَبَتُهُمْ وَوُرَثَتُهُمْ، وَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ،
وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَأَنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ،
وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَهُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ
وَالْأَحْوَالُ .

وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمَفْرُقُ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهَدَى وَالضَّلَالِ .
بِهِ يُعْرَفُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذَكَّرُ وَيُوحَدُ، وَيُحْمَدُ وَيُمَجَّدُ . وَبِهِ اهْتَدَى إِلَيْهِ
السَّالِكُونَ . وَمِنْ طَرِيقِهِ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَاصِلُونَ . وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ
الْقَاصِدُونَ ، بِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ وَالْأَحْكَامُ ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ . وَبِهِ
تُوصَلُ الْأَرْحَامُ وَبِهِ تُعْرَفُ مَرَاضِي الْحَبِيبِ ، وَبِمَعْرِفَتِهَا وَمُنَابَعَتِهَا يُوصَلُ

إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَهُوَ إِمَامٌ، وَالْعَمَلُ مَأْمُومٌ. وَهُوَ قَائِدٌ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ. وَهُوَ
الصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ وَالْمُحَدَّثُ فِي الْخُلُوعِ، وَالْأَنْبِيَاءُ فِي الْوَحْشَةِ. وَالْكَاشِفُ
عَنِ الشُّبْهَةِ. وَالْغَنَى الَّذِي لَا فَقْرَ عَلَى مَنْ ظَفَرَ بِكَنْزِهِ. وَالْكَنْفُ الَّذِي لَا
ضَيْعَةَ عَلَى مَنْ آوَى إِلَى حِرْزِهِ، مُذْكَرَاتُهُ تَسْبِيحٌ. وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ.
وَطَلَبُهُ قُرْبَةٌ. وَبَذْلُهُ صَدَقَةٌ. وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ. وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ
أَعْظَمُ مِنْهَا إِلَى الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ أَخْرَجُ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ. لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ
مَرَّتَيْنِ. وَحَاجَتُهُ إِلَى الْعِلْمِ بَعْدَ أَنْفَاسِهِ.
وَرَوَيْنَا عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ
صَلَاةِ النَّافِلَةِ.

وَنَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَوَضَعْتُ أَلْوَاحِي
وَقُمْتُ أُصَلِّي. فَقَالَ: مَا الَّذِي قُمْتَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا قُمْتَ عَنْهُ.
ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ. (مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك
نستعين).

لقد بين ابن القيم حال العلم فقال: أنه أفضل هاد والحال الصحيح المهتد
به، فالإنسان المستيقظ عقله يجب عليه أن لا يتحرك خطوة ولا يهتدي إلا
بالعلم، فأى مسألة من أمور الحياة سواء تعلق الأمر بالدنيا أو بالآخرة
فعليه أن يحتكم فيه إلى العلم (الشريعة) لماذا؟ لأنه تركة الأنبياء ومن
يرجع إليه فإنه يأخذ من ميراث النبوة، فالذي يستقي من علوم الشريعة
ويزداد منها بنية صالحة هو في حقيقة الأمر يأخذ من ميراث النبوة وهو

أفضل شيء في الدنيا، فكيف لقلب أن يعرف ذلك ثم يُعرض عن طلب العلم (وهذا هو حال الكثير من الناس) وذلك يرجع إلى عدم انضباط القلوب.

قال: - وهو حياة القلوب: فلا يمكن لأمراض القلوب أن تعالج إلا بالعلم.

قال: - وَنُورُ الْبَصَائِرِ: العلم يُعطي صاحبه نور البصيرة فيُدرك به الصحيح والخاطئ، والحلال والحرام، كما أنه يمنح صاحبه القدرة على ضبط أفعاله فيحكمها بميزان الحكمة وكذا أقواله وأفعاله،
- **وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ:** فينشرح به الصدر وينتشي به العقل فهو في حالة من السعادة والسرور.

- **وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ. وَأَنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ:** فالإنسان الذي يبحث عن الأُنس بالناس في زيارة وفي الأسواق وفي الشوارع (أي جمع) هذا لم يأنس بالعلم، ولو أنه علم قيمة العلم لمكث في بيته وكان أحب شيء إلى قلبه أن يظل وحيد بعيد عن الناس مُستأنس بالعلم الذي يُحصله، والأُنس بالناس يوجد دائماً عند الشخص ضعيف الإيمان فإذا ما علا إيمانه فإنه لن يبحث عن الأُنس بالناس أبداً ولكنه يأنس بالله وبالعلوم الشرعية وسيرة النبي ﷺ وما يُفيده في دينه.

- **وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمَفْرَقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ:** فإذا ما كان لدى العبد شك أو ريب في أمرٍ ما أو شبهات فلن يخرج من كل ذلك إلا بالعلم.

- **وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ:** فكيف يستطيع العبد أن يصل إلى هذه الفروق من غير علم، كيف له أن يعرف إن كان على هدى أم على ضلال؟ بأي وسيلة يصل إلى التمييز بين الغي والرشاد إذا لم يكن هناك علم؟

لا يمكن أن يُعرف الله بأسمائه وصفاته إلا بالعلم فيه اهتدى السابقون.

- **مُذَكَّرَاتُهُ تَسْبِيحٌ:** هذا اجتهاد من ابن القيم لأننا ليس لدينا نص يدل على ذلك، ولكن يمكننا أن نقول أنه بمثابة التسبيح لأن فيه ذكر لله ودفاع عن الكتاب والسنة.

- **وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ:** لأن الجهاد أنواع منه ما يتعلق بالعلم
- **وَطَلَبُهُ قُرْبَةٌ:** وكيف لا يكون كذلك وقد أمر الله عز وجل نبيه الكريم أن يقول: **{ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَنَا تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) }**[طه].

- **وَبَذَلُهُ صَدَقَةٌ:** فهو أفضل شيء يتصدق به العبد لأنه أعلى ما عنده فقد بذل في سبيل تحصيله الكثير وبالتالي فعندما يُقدم للآخرين فهو يقدم لهم ما هو أثمن من المال، فالمال قد يكون أخذه من الميراث فهو لم يبذل في نياله جهد، أما العلم فبذل فيه الكثير ولذلك فهو أعلى أنواع الصدقات، ويحتاج الناس إليه أكثر من صدقة المال، لأن صدقة المال تسد حاجة الإنسان من الطعام والشراب ويمكن أن تؤخذ من أي شخص بينما صدقة العلم لا يُعطيه إلا من كان على علم.

- **وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ:** وهذا أيضًا اجتهاد ولا يوجد فيه نص. العلم النافع هو أفضل ما يُتقرب به إلى الله، أسأل الله تعالى أن يكون ما تعلمناه علمًا نافعًا وأن يكون حجة لنا يوم القيامة لا علينا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك